مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

التشكّل التاريخي والثقافي لملحمة جلجامش وأثره في البناء السردي

سميرة عبد الصمد السنوسي سعيد*
الجامعة المفتوحة ، قسم اللغة العربية ، سبها ، ليبيا
https://orcid.org/0009-0005-1127-2014
Smyra86saied@gmail.com
تاريخ الارسال 2026/6/14م تاريخ القبول 2026/7/15م

The Historical and Cultural Formation of the Epic of Gilgamesh and Its Impact on the Narrative Structure

Samira Abd El-Samad El-Senousy Saeed
The Open University / Department of Arabic Language / Sebha
Smyra86saied@gmail.com

Abstract This research, entitled "The Historical and Cultural Formation of the Epic of Gilgamesh and Its Impact on the Narrative Structure", examines the relationship between the cultural and historical foundations of Mesopotamian civilization and the artistic and narrative construction of the Epic of Gilgamesh, considering it one of the oldest literary texts in human history and one of the most significant works capable of expressing the human experience in its intellectual and existential dimensions. The research is based on the premise that the epic is not merely a mythical story about an extraordinary hero, but rather a cultural text that reflects the Mesopotamian human perception of the universe, gods, authority, death, and Immortality. The first section of the research discusses the Mesopotamian cultural reference and the formation of the mythical Imagination by examining the social and political environment of the city of Uruk, the role of religious beliefs in shaping events, and the function of myth as a framework for interpreting reality and giving it meaning. The second section addresses the artistic characteristics of ancient epic literature through analyzing the

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

features of epic heroism, oral structure and repetition, as well as the presence of gods and the supernatural elements in the narrative formation .The third section explores the Impact of the cultural context on the narrative structure of the epic by studying the concepts of fate and conflict, the image of kingship and authority, and the reflection of collective consciousness in the construction of characters. It demonstrates that Gilgamesh represents a complex human model combining divine and human qualities, as well as the desire for power and the pursuit of knowledge .The fourth section focuses on the universality of the human experience in the epic through the major themes it addresses, such as friendship, death, the desire for immortality, and the search for the meaning of existence, in addition to presenting the most significant critical perspectives on the epic. The research concludes that the lasting significance of the Epic of Gilgamesh lies in its ability to transcend its historical context and become an expression of universal human questions, which has made it an influential text in the development of world literature.

Keywords: Epic of Gilgamesh, Epic Literature, Mesopotamian Civilization, Narrative Structure, Immortality.

الملخص:

يتناول هذا البحث المعنون بـ «التشكّل التاريخي والثقافي لملحمة جلجامش وأثره في البناء السردي» دراسة العلاقة بين المرجعيات الحضارية والثقافية لحضارة بلاد الرافدين وبين التكوين الفني والسردي لملحمة جلجامش، باعتبارها واحدة من أقدم النصوص الأدبية في تاريخ الإنسانية، وأكثرها قدرة على التعبير عن التجربة البشرية في أبعادها الفكرية والوجودية. وينطلق البحث من رؤية مفادها أن الملحمة ليست مجرد حكاية أسطورية عن بطل استثنائي، وإنما نص ثقافي يحمل تصورات الإنسان الرافدي عن الكون، والآلهة، والسلطة، والموت، والخلود. ويتناول البحث في مبحثه الأول المرجعية الحضارية الرافدية وبناء الخيال الأسطوري، من خلال دراسة البيئة الاجتماعية والسياسية في مدينة أوروك، وأثر المعتقدات الدينية في تشكيل الأحداث، ودور الأسطورة بوصفها وسيلة لتفسير الواقع وإضفاء المعنى عليه. كما يناقش المبحث الثاني الخصائص الفنية للأدب الملحمي القديم، من خلال تحليل سمات البطولة الملحمية، والبناء الشفهي والتكرار، وحضور الآلهة والعجائبي في التشكيل السردي. ويتناول المبحث الثالث أثر السياق الثقافي في تشكيل البنية السردية للملحمة، من خلال دراسة مفهوم القدر والصراع، وصورة الملك والسلطة، وانعكاس الوعي الجمعي في بناء الشخصيات، موضحًا أن شخصية جلجامش تمثل نموذجًا إنسانيًا مركبًا يجمع بين

القوة البشرية والطابع الإلهي، وبين الرغبة في السيطرة والبحث عن المعرفة. أما المبحث الرابع فيركز على عالمية التجربة الإنسانية في الملحمة، من خلال أبرز القضايا التي تناولتها، مثل الصداقة، والموت، والرغبة في الخلود، والبحث عن معنى الوجود، مع عرض أبرز الآراء النقدية حولها. وقد توصل البحث إلى أن خلود ملحمة جلجامش يعود إلى قدرتها على تجاوز إطارها التاريخي لتصبح تعبيرًا عن أسئلة إنسانية مشتركة، مما جعلها نصًا مؤثرًا في مسار الأدب العالمي..

الكلمات المفتاحية: ملحمة جلجامش، الأدب الملحمي، الحضارة الرافدية، البناء السردي، الخلود

المقدمة:

يمثّل الأدب الملحمي أحد أقدم الأشكال التعبيرية التي سعى الإنسان من خلالها إلى فهم ذاته والعالم من حوله، وقد جاءت ملحمة جلجامش بوصفها النص الأبرز الذي تجسدت فيه هذه المحاولة الأولى لصياغة الوجود في قالب سردي يجمع بين الأسطورة والتجربة الإنسانية. فهي لا تُقرأ بوصفها حكاية بطولية فحسب، بل بوصفها وثيقة حضارية عميقة تعكس وعي الإنسان الرافدي بذاته، وصراعه مع قوى الطبيعة والقدر، وسعيه الدائم إلى تجاوز محدوديته الإنسانية. ومن هنا، فإن الملحمة تمثل نقطة التقاء بين التاريخ والأسطورة، وبين الواقع والخيال، حيث تتداخل العناصر الدينية والاجتماعية والسياسية لتشكّل بنية سردية غنية بالدلالات. إن التشكّل التاريخي والثقافي لملحمة جلجامش لا يُعدّ مجرد إطار خارجي للنص، بل هو عنصر فاعل في صياغة مكوناته الداخلية، إذ تتجلى فيه ملامح حضارة بلاد الرافدين بما تحمله من نظم سياسية مركزية، ومعتقدات دينية قائمة على تعدد الآلهة، ورؤية كونية تفسّر الوجود من خلال قوى عليا تتحكم في مصير الإنسان. وقد انعكست هذه العناصر بوضوح في بناء الحدث، وتشكيل الشخصيات، وصياغة القضايا الكبرى التي تطرحها الملحمة، مثل الموت والخلود، والصداقة، والسلطة، والقدر. وبذلك، يغدو النص السردي مرآةً تعكس الوعي الجمعي لتلك الحضارة، وفي الوقت نفسه أداةً لإعادة إنتاج هذا الوعي في صورة فنية.

المنهج المتبع:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة الدراسة، حيث تم توظيف المنهج التاريخي في تتبع التشكّل الحضاري والثقافي لملحمة جلجامش، والكشف عن الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية التي أسهمت في نشأتها داخل حضارة بلاد الرافدين. كما اعتمد البحث على المنهج التحليلي من خلال قراءة النص الملحمي وتحليل بنيته السردية، ودراسة الشخصيات والأحداث والرموز

والقضايا الفكرية التي يتضمنها، مع التركيز على أثر السياق الثقافي في تشكيل دلالاته الفنية والإنسانية.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها :

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول محاولة الكشف عن العلاقة بين التشكّل التاريخي والثقافي لملحمة جلجامش وبين بنائها السردي، ومدى تأثير البيئة الحضارية الرافدية بما تحمله من تصورات دينية واجتماعية وسياسية في تشكيل أحداث الملحمة وشخصياتها ورؤيتها الفكرية. ومن هنا، تتمحور مشكلة البحث حول التساؤل الآتي:

كيف أسهم التشكّل التاريخي والثقافي لملحمة جلجامش في بناء بنيتها السردية وتشكيل رؤيتها الفكرية؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الإشكالات، من أبرزها:

1) ما طبيعة المرجعية الحضارية الرافدية التي أسهمت في تشكيل المخيال الأسطوري للملحمة؟
2) كيف انعكست المعتقدات الدينية والاجتماعية في بناء الحدث وتوجيه مسار السرد؟
3) ما أثر السياق الثقافي في تشكيل القضايا الفكرية، مثل القدر والسلطة والفناء؟
4) إلى أي مدى استطاعت الملحمة أن تعبّر عن تجربة إنسانية ذات طابع عالمي؟

أهداف البحث :

1) التعرف على طبيعة المرجعية الحضارية الرافدية التي أسهمت في تشكيل المخيال الأسطوري للملحمة .
2) معرفة انعكاس المعتقدات الدينية والاجتماعية في بناء الحدث وتوجيه مسار السرد .
3) معرفة أثر السياق الثقافي في تشكيل القضايا الفكرية، مثل القدر والسلطة والفناء .
4) التعرف إلى أي مدى استطاعت الملحمة أن تعبّر عن تجربة إنسانية ذات طابع عالمي .

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على واحدة من أقدم النصوص الأدبية في تاريخ الإنسانية، وهي ملحمة جلجامش، من خلال الكشف عن ارتباطها بالسياق التاريخي والثقافي الذي نشأت فيه، وبيان أثر المرجعيات الحضارية الرافدية في تشكيل بنائها السردي ورؤيتها الفكرية. كما تكمن أهميتها في إبراز الأبعاد الإنسانية العالمية للملحمة، وما تطرحه من قضايا وجودية مثل الموت والخلود والصراع والبحث عن المعنى، مما يؤكد قدرتها على تجاوز حدود الزمان والمكان، واحتفاظها بمكانتها ضمن الأدب العالمي. اقتضت طبيعة هذا البحث المعنون بـ «التشكّل التاريخي والثقافي

لملحمة جلجامش وأثره في البناء السردي» أن يُقسَّم إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، تعقبها خاتمة وفهرس للموضوعات، وذلك على النحو الآتي: تناولت المقدمة مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته إلى جانب بيان المنهج المتبع في الدراسة. ثم جاء التمهيد للوقوف على الإطار العام للملحمة. أما المبحث الأول فقد تناول المرجعية الحضارية الرافدية وبناء المخيال الأسطوري، من خلال دراسة البيئة الاجتماعية والسياسية في أوروك، والمعتقدات الدينية وأثرها في تشكيل الحدث، والأسطورة بوصفها إطارًا مفسرًا للواقع. وتناول المبحث الثاني الخصائص الفنية للأدب الملحمي القديم، من خلال الوقوف على سمات البطولة الملحمية، والبناء الشفهي والتكرار، وحضور الآلهة والعجائبي في التشكيل السردي. وجاء المبحث الثالث بعنوان أثر السياق الثقافي في تشكيل البنية السردية للملحمة، حيث تناول مفهوم القدر والصراع، وصورة الملك والسلطة، وانعكاس الوعي الجمعي في بناء الشخصيات. أما المبحث الرابع فقد تناول عالمية التجربة الإنسانية في النص الملحمي، من خلال عرض أبرز القضايا التي تناولتها الملحمة، ومناقشة أهم الآراء النقدية التي قيلت حولها، وصولًا إلى إبراز قيمتها الإنسانية والأدبية في سياق الأدب العالمي. ثم اختُتم البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأهم التوصيات، يليها فهرس للموضوعات.

تمهيد:

تنقسم ملحمة جلجامش إلى اثني عشر لوحًا، تشكل في مجموعها بناءً سرديًا متماسكًا يعكس تطور شخصية البطل من مرحلة القوة والجبروت إلى مرحلة الوعي والمعرفة، ويمكن تلخيص أحداثها على النحو الآتي:[1] تبدأ الملحمة في لوحها الأول بتقديم شخصية جلجامش، ملك أوروك، الذي يظهر بوصفه حاكمًا قويًا لكنه متسلط، يرهق شعبه بجبروته، فيلجأ الناس إلى الآلهة طلبًا للنجدة. تستجيب الآلهة لهذه الشكوى، وتخلق أنكيدو، ذلك الكائن البري الذي يمثل نقيض جلجامش، ليكون له ندًا يحدّ من طغيانه. وفي اللوح الثاني، تبدأ مرحلة التحول، حيث ينتقل أنكيدو من حياة البرية إلى الحياة الإنسانية، ويلتقي بجلجامش في صراع عنيف ينتهي بالصداقة. ويرى الباحث أن هذا التحول لا يمثل مجرد حدث سردي، بل يعكس فكرة أساسية في الوعي الإنساني، وهي أن الإنسان لا يكتمل إلا بالآخر، وأن الصراع قد يكون مدخلًا إلى التفاهم والتكامل. أما في الألواح الثالث والرابع والخامس، فتتجه الأحداث نحو المغامرة، حيث يقرر الصديقان السفر إلى غابة الأرز لمواجهة خمبابا. وخلال الرحلة، تتجلى مشاعر الخوف والتردد لدى جلجامش، في مقابل دعم أنكيدو، مما يضفي على الحدث بعدًا نفسيًا يعكس هشاشة الإنسان رغم قوته. وتنتهي هذه المرحلة بقتل خمبابا، في انتصار ظاهري

يمثل ذروة البطولة. ويُعدّ موت أنكيدو في اللوحين السابع والثامن نقطة التحول الكبرى في الملحمة، إذ يدخل جلجامش في حالة من الحزن العميق، ويدرك لأول مرة حقيقة الموت، وهو ما يدفعه إلى إعادة النظر في حياته كلها. وفي الألواح التاسع والعاشر، يبدأ جلجامش رحلته في البحث عن الخلود، فيسلك طرقًا وعرة، ويواجه مخلوقات غريبة، ويلتقي بشخصيات تقدم له نصائح تعكس حكمة الحياة، ومنها صاحبة الحانة التي تدعوه إلى الاستمتاع بالحياة بدلًا من مطاردة الوهم. ويصل جلجامش في اللوح الحادي عشر إلى أوتنابشتم، الذي يروي له قصة الطوفان، ويكشف له سر الخلود، لكنه في النهاية يفشل في الاحتفاظ به، مما يؤكد أن الخلود الجسدي ليس متاحًا للبشر. أما اللوح الثاني عشر، فيختتم الملحمة بعودة جلجامش إلى أوروك، بعد أن فقد أمله في الخلود، لكنه اكتسب حكمة جديدة تجعله أكثر فهمًا للحياة. ويقوم باستحضار روح أنكيدو، في مشهد رمزي يعكس استمرار العلاقة بين الأحياء والأموات في الوعي الإنساني.

المبحث الأول ـ المرجعية الحضارية الرافدية وبناء المخيال الأسطوري:

تمثل حضارة وادي الرافدين إحدى أقدم الحضارات الإنسانية التي أسهمت في تشكيل الوعي البشري، حيث نشأت فيها أولى المدن، وتبلورت فيها أنماط التفكير الديني والأسطوري التي انعكست لاحقًا في النتاج الأدبي، وفي مقدّمته ملحمة جلجامش. ومن هنا، فإن فهم المخيال الأسطوري في هذه الملحمة لا ينفصل عن إدراك البنية الحضارية التي أنتجته، إذ تشكّل الأسطورة في هذه البيئة وسيلة لتفسير الكون، وتنظيم العلاقة بين الإنسان والطبيعة والآلهة.

كما أن أهمية هذا الموضوع لا تقتصر على كونه جزءًا من تاريخ الأدب القديم، بل تمتد إلى كونه ركيزة من ركائز الأدب العالمي، حيث تمثل ملحمة جلجامش نموذجًا مبكرًا للنصوص السردية الكبرى التي عالجت قضايا إنسانية شاملة، مثل الصداقة، والموت، والخلود، والسلطة. وقد أشار طه باقر إلى هذه القيمة بقوله: "فإن الملحمة على درجة من الخطورة والأهمية في تصويرها لنا تصويرًا مؤثرًا جوانب مهمة من حضارة وادي الرافدين، فهي لدارسي تلك الحضارة منجم زاخر يستقي منه فهم أوجه ومقومات أساسية لأحوال العراق القديم..."[2]. ومن هذا المنطلق، يأتي هذا المبحث ليتناول المرجعية الحضارية التي أسهمت في بناء المخيال الأسطوري للملحمة، بدءًا من البيئة الاجتماعية والسياسية، مرورًا بالمعتقدات الدينية، وانتهاءً بدور الأسطورة في تفسير الواقع.

أولًا ـ البيئة الاجتماعية والسياسية في أوروك :

شهدت مدينة أوروك تحولًا تاريخيًا بالغ الأهمية في مسار الحضارة الإنسانية، حيث انتقلت المجتمعات من أنماط الحياة البدائية إلى تنظيمات مدينية متقدمة، الأمر الذي انعكس بوضوح على البنية الاجتماعية والسياسية، وأسهم في تشكيل الوعي الجمعي الذي تجلّى لاحقًا في ملحمة جلجامش. تشير المعطيات التاريخية إلى أن الفترة الممتدة من (3600–2900 ق.م) تمثل مرحلة ازدهار حضارة أوروك، التي لم تقتصر على كونها مدينة محلية، بل امتد تأثيرها إلى مختلف مناطق وادي الرافدين، بل وحتى إلى مناطق سورية شرقية، وهو ما يدل على وجود نوع من الامتداد الحضاري والتفاعل الثقافي الواسع. وقد كانت أوروك "بمثابة الحاضرة الرئيسية في جنوب وادي الرافدين خلال هذه الفترة"[3]؛ الأمر الذي يعكس مركزيتها السياسية والحضارية. ولا يمكن فهم البنية الاجتماعية والسياسية في مدينة أوروك بمعزل عن النصوص الأسطورية التي حفظت لنا صورة رمزية عميقة عن هذا الواقع، إذ إن الأسطورة السومرية لم تكن مجرد حكاية خيالية، بل كانت تعبيرًا مشفّرًا عن تحولات حضارية وسياسية حقيقية. ويُعد نص «إنانا وإنكي» من أبرز النصوص التي تكشف عن طبيعة هذا التحول، من خلال تصويره انتقال "نواميس الحضارة" من إريدو إلى أوروك.

1- البعد الاجتماعي في صورة الإلهة إنانا:

يبدأ النص بوصف استعدادات الإلهة إنانا لرحلتها، في مشهد يحمل دلالات رمزية عميقة، حيث يقول:

"إنانا وضعت على رأسها الشوجارا، تاج السهول
وجاءت إلى حظيرة الأغنام، جاءت إلى حظيرة الراعي.
هناك أسندت ظهرها إلى شجرة التفاح
سوف أمضي إلى الأبسوء المقر المقدس لإريدو."[4]

يكشف هذا النص عن حضور واضح للخصب والأنوثة بوصفهما عنصرين أساسيين في البنية الاجتماعية الرافدية، حيث لم تكن الخصوبة مجرد قيمة بيولوجية، بل كانت تمثل رمزًا لاستمرار الحياة والنماء. فإبراز جسد إنانا هنا لا يُفهم في سياق حسي مباشر، بل في إطار رمزي يعكس مركزية فكرة الخصب في المجتمع الزراعي. كما أن انتقال إنانا من "حظيرة الأغنام" إلى "المقر المقدس" يعكس الترابط بين الحياة الاقتصادية (الرعي والزراعة) والحياة الدينية، وهو ما يدل على أن المجتمع في أوروك كان مجتمعًا متكامل البنية، تتداخل فيه الوظائف الاقتصادية مع الرموز الدينية.

2- السلطة بوصفها مزيجًا من المقدس والسياسي:

يتجلى البعد السياسي بوضوح في مشهد منح "المي" (نواميس الحضارة)، حيث يقول النص:

"رفع إنكي كأسه وشرب نخب إنانا قائلا:
باسم قدرتي باسم هيكلي المقدس
سأعطيها ناموس التاج النبيل وعرش الملوكية."[5]

إن هذا النص يُبرز أن السلطة في أوروك لم تكن مجرد سلطة سياسية، بل كانت سلطة ذات جذور دينية عميقة، حيث يتم منح "التاج" و"الملوكية" في سياق مقدس، مما يدل على أن شرعية الحكم مستمدة من الإرادة الإلهية. وهو تعبير واضح عن ارتباط السلطة السياسية بالمقدس.

3- الصراع الحضاري وانتقال مركز القوة:

يمثل انتقال "المي" من إريدو إلى أوروك تحولًا سياسيًا مهمًا، عبّرت عنه الأسطورة في صورة صراع غير مباشر بين المدينتين. فحين يدرك إنكي ما حدث، يحاول استعادة هذه النواميس، لكن إنانا تنجح في الاحتفاظ بها، إلى أن يعترف إنكي في النهاية بالأمر الواقع، قائلاً:

"باسم قدرتي باسم هيكلي المقدس
لتبق النواميس التي أخذتها في هيكل مدينتك
ولينصرف الكاهن الأعلى إلى الإنشاد في الحرم المقدس."[6]

هذا الاعتراف يُعد إقرارًا رمزيًا بانتقال مركز الحضارة والسلطة من إريدو إلى أوروك، وهو ما يعكس واقعًا تاريخيًا أشار إليه علم الآثار، حيث تحولت أوروك إلى مركز حضاري رئيسي في جنوب وادي الرافدين. كما أن هذا الصراع يكشف عن وعي سياسي مبكر، يتمثل في إدراك أهمية السيطرة على "النظام" و"القانون" بوصفهما أساس الحكم، وليس مجرد السيطرة العسكرية.

4- انعكاس الواقع الاجتماعي في البناء السردي :

إن البنية الاجتماعية والسياسية في أوروك لم تكن مجرد خلفية تاريخية للملحمة، بل كانت عنصرًا فاعلًا في تشكيل أحداثها وشخصياتها. فقد عكست الملحمة طبيعة العلاقات الاجتماعية، مثل الصداقة بين جلجامش وإنكيدو، والتي تُعد من أبرز القيم الإنسانية التي عبّرت عنها الملحمة، حيث يشير طه باقر إلى ذلك بقوله: "ولعل أبلغ رثاء في تاريخ الحب والصداقة رثاء جلجامش المؤثر لموت صديقه إنكيدو"[7]. وهذا يدل على أن المجتمع الرافدي لم يكن مجرد مجتمع مادي قائم على السلطة، بل كان

يحمل أيضًا بعدًا إنسانيًا عميقًا، انعكس في الأدب الملحمي، وجعل منه نصًا عالميًا يتجاوز حدود زمانه.

ثانيًا ـ المعتقدات الدينية وأثرها في تشكيل الحدث :

تُعدّ المعتقدات الدينية في ملحمة جلجامش عنصرًا محوريًا في بناء الحدث السردي، إذ لا تتحرك الشخصيات ولا تتشكل الوقائع بمعزل عن إرادة الآلهة، بل إن البنية العامة للملحمة تقوم على تصور كوني يجعل من الإنسان كائنًا خاضعًا لقوى عليا تتحكم في مصيره وتوجه أفعاله.

البعد الديني في خلق جلجامش:

يبدأ اللوح الأول بتأكيد الأصل الإلهي للبطل، فيقول النص:

"ما خُلِقَ جلجاميش
أكمل بطل الآلهة هيئته
اشترك الآلهة في صنع صورته
فأضفى عليه الجمال شمش السماوي، وحباه أدد البطولة.
على أروع صورة خلق الآلهة العظام جلجاميش
بلغ طول قامته أحد عشر ذراعا،
ثلثاه إلهي، والثلث (الباقي) بشري
وهيئة جسمه شامخة."(8)

يكشف هذا النص عن تصور ديني عميق يقوم على فكرة "الخلق الإلهي الموجَّه"، حيث لا يُترك تكوين البطل للصدفة، بل تشترك فيه مجموعة من الآلهة، بحيث يمنح كل إله جزءًا من صفاته، وهو ما يجعل جلجامش كائنًا استثنائيًا يتجاوز حدود الإنسان العادي. كما أن تحديد نسبه "ثلثاه إلهي والثلث بشري" يعكس رؤية فلسفية مبكرة لطبيعة الإنسان، بوصفه كائنًا مزدوجًا يجمع بين السمو الإلهي والضعف البشري، وهي الفكرة التي ستُشكّل لاحقًا محور الصراع الداخلي في الملحمة، خاصة في مواجهة الموت.

المبحث الثاني ــ الخصائص الفنية للأدب الملحمي القديم.

أولًا- سمات البطولة الملحمية :

تتجلّى البطولة في ملحمة جلجامش بوصفها ظاهرة فنية مركّبة، لا تقتصر على القوة الجسدية، بل تمتد لتشمل أبعادًا رمزية ودينية ونفسية، تجعل من البطل محورًا تدور حوله الأحداث، وتجسيدًا لطموحات الجماعة ومخاوفها في آنٍ واحد. فجلجامش لا

يظهر بوصفه إنسانًا عاديًا، بل بوصفه بطلًا خارقًا تتجسد فيه صفات القوة والجبروت، وهو ما يتضح في مواجهته لقوى تفوق الطبيعة البشرية، مثل معركته مع الثور السماوي الذي أُرسل لمعاقبته وتدمير مدينة أوروك. وقد أُشير إلى هذه الطبيعة في وصف الشخصيات الملحمية حيث تمثل نماذج مثالية تتسم بخصائص فريدة ومتنوعة، حيث تتراوح بين الخير والشر، وتجمع صفات متباينة تظهر قوتها وجلالها بشكل يفوق الواقع والمعقول... فالأبطال الأسطوريون مثل جلجامش وكريشنا وأرجونا لا يدركون حدودًا فاصلة بين أنفسهم والعالم أو الزمن، إذ لا تكون إرادتهم وعقولهم سلاحًا حاسمًا بقدر ما تكون قوة الآلهة هي الدافع الأساسي لقواهم. (9)

ويكشف هذا النص عن أن البطولة الملحمية لا تقوم على الإرادة الفردية وحدها، بل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالقوى الإلهية، وهو ما يجعل البطل أداة لتنفيذ إرادة كونية أكبر منه. ومن هنا، فإن جلجامش، رغم قوته، يظل مرتبطًا بعالم الآلهة، يستمد منها قوته، ويخضع في النهاية لنواميسها. كما يتجلى هذا البعد الخارق في النص المرتبط بالعالم السفلي، حيث يقول جلجامش لأنكيدو:

"إذا أردت أن تنزل إلى العالم السفلي
فعليك أن تأخذ بنصيحتي جيدًا:
لا تلبس ثوبًا نظيفًا،
وإلا عرفوا أنك غريب (هناك).
لا تضمخ (جسدك) بالزيت الطيب..." (10)

يعكس هذا النص تصورًا أسطوريًا لعالم الموت، حيث تحكمه قوانين مختلفة عن عالم الأحياء، ويستلزم الدخول إليه التخلي عن مظاهر الحياة. وهذا بدوره يعزز الطابع العجائبي للملحمة، ويؤكد أن البطولة فيها لا تقتصر على مواجهة الأعداء، بل تمتد إلى اقتحام عوالم غيبية.

ثانيًا ـ البناء الشفهي والتكرار:

ويتجلى هذا التكرار بوضوح في مواضع متعددة من ملحمة جلجامش، كما في اللوح الثاني عشر، حيث يقول النص:

"ليتني تركت البكو في حانوت النجار
ليتني تركته مع زوجة النجار التي كأمي.
ليتني تركته مع ابنة النجار التي كأختي الصغرى."(11)

يعبّر هذا التكرار عن حالة نفسية عميقة تتسم بالندم والحسرة، حيث يعيد المتكلم العبارة بصيغ متقاربة، مما يعكس انفعاله الداخلي ويُضفي على النص بعدًا عاطفيًا

مؤثرًا. كما أن تكرار "ليتني" في بداية كل جملة يُكسب النص إيقاعًا حزينًا متصاعدًا، يُحاكي نبرة الرثاء أو التحسر، وهو ما يتناسب مع طبيعة الموضوع المرتبط بالفقد أو الخطأ الذي لا يمكن تداركه. ويظهر التكرار كذلك في سياق آخر أكثر ارتباطًا بالرؤية الكونية، كما في اللوح الحادي عشر، حيث يرد:

"لو أرسلت بدل الطوفان أسودًا لأنقصت عدد البشر.

لو أرسلت بدل الطوفان ذئابًا لقللت منهم.

لو أرسلت بدل الطوفان المجاعة لأهلكت البلاد."[12]

في هذا النص، يتخذ التكرار شكلًا تركيبيًا يقوم على إعادة بنية شرطية واحدة مع تغيير العنصر الدلالي، وهو ما يُبرز فكرة التعدد في وسائل العقاب الإلهي، ويعكس تصورًا دينيًا يرى أن الكوارث ليست عشوائية، بل هي خيارات متعددة في يد القوى الإلهية. كما أن هذا النمط من التكرار يُسهم في بناء إيقاع خطابي قوي، يُقارب أسلوب التلاوة أو الإنشاد، مما يعزز الطابع الشفهي للنص. ولا يقتصر التكرار على المستوى اللغوي، بل يمتد ليشمل البنية العميقة للأسطورة ذاتها، حيث تتكرر الموضوعات والأنماط السردية عبر نصوص متعددة، وهو ما أشار إليه بعض الباحثين بقولهم:" وربما كان أهم ما يميز المكونات والعناصر في الأسطورة هو خاصية التكرار، فهي تظهر وتتكرر في مختلف الروايات وإن كانت تتخفى تحت صور وأشكال وعلاقات متنوعة..."[13]. وقد انتبه إلى هذه الخاصية عدد من الباحثين، مثل كلود ليفي شتراوس وميرسيا إلياد، حيث رأوا أن التكرار يُعبّر عن بنية ذهنية تسعى إلى تثبيت المعنى من خلال إعادة إنتاجه في صيغ مختلفة. كما يرتبط هذا التكرار بما يُعرف بخاصية "التعالي"، أي تجاوز حدود الزمان والمكان، حيث تبدو الأحداث وكأنها قابلة للتكرار في أي زمان ومكان، مما يمنح النص طابعًا كونيًا يتجاوز التجربة الفردية. وهذا ما يجعل ملحمة جلجامش نصًا مفتوحًا على التأويل، حيث لا تنحصر دلالاته في سياق تاريخي محدد، بل تمتد لتعبّر عن الإنسان في كل العصور.[14]

ثالثًا - حضور الآلهة والعجائبي في التشكيل السردي :

يمثل حضور الآلهة والعجائبي في ملحمة جلجامش أحد أبرز الخصائص الفنية التي تُميز البناء السردي في الأدب الملحمي القديم، حيث لا تنفصل الأحداث عن تدخل القوى الإلهية، ولا تُفهم الوقائع بمعزل عن هذا البعد الغيبي الذي يمنح النص عمقًا دلاليًا ورمزيًا. فالعالم في الملحمة ليس عالمًا واقعيًا خالصًا، بل هو فضاء تتداخل فيه الإرادة البشرية مع الإرادة الإلهية، ويتجلى فيه العجائبي بوصفه جزءًا طبيعيًا من نسيج السرد. وتبدأ هذه السمة من شخصية البطل ذاته، إذ تُضفي الملحمة على جلجامش طابعًا فريدًا

يجمع بين الألوهية والبشرية، فهو "ابن الإله لوجال باندا"[15] والإلهة تنسون، مما يمنحه بعدًا مقدسًا يرفعه فوق مستوى الإنسان العادي، وفي الوقت ذاته يظل خاضعًا لتجربة إنسانية قائمة على الألم والخوف والبحث عن المعنى. وهذا التداخل بين الطبيعتين يمنح الشخصية عمقًا خاصًا، حيث يتحرك البطل في مساحة وسطى بين العالمين، فيجسد التوتر بين القدرة والعجز، وبين الطموح والحدود. ولا يقتصر حضور الآلهة على أصل البطل، بل يمتد ليشمل توجيه الأحداث والتأثير في مسارها، كما يظهر في تدخل الإله شمش، الذي يخاطب أنكيدو من السماء قائلاً:

"تلك التي علمتك كيف يؤكل الخبز اللائق بالألوهية
علامَ يا أنكيدو تلعن البغي؟
وأعطتك جلجامش الوسيم خلًا وصاحبًا
أفلم يجعلك جلجامش، خلك وأخوك، تنام على الفراش الوثير؟" [16].

يكشف هذا الخطاب عن طبيعة العلاقة بين الآلهة والبشر، حيث يظهر الإله في صورة الناصح والموجّه، لا مجرد قوة بعيدة أو غامضة. كما يعكس هذا التدخل وعيًا دينيًا يرى أن التحولات التي تطرأ على الإنسان—مثل انتقال أنكيدو من البداوة إلى الحضارة—هي نتيجة لتدبير إلهي، لا مجرد تطور طبيعي. وهنا يتداخل العجائبي مع الواقعي، حيث يُفسَّر التحول الحضاري في إطار أسطوري يمنحه بعدًا قدريًا. ويزداد هذا الحضور وضوحًا في دور الإله شمش (أوتو)، الذي يُعد إلهًا حاميًا ومرشدًا لجلجامش، حيث يمدّه بالقوة والدعم في مواجهته لهوواوا، مما يتيح له تحقيق النصر.[17] وهذا الدور يعكس أن البطولة في الملحمة لا تتحقق بجهد فردي خالص، بل هي نتيجة تضافر القوة البشرية مع الدعم الإلهي، مما يعزز الطابع العجائبي للأحداث.

المبحث الثالث ـ أثر السياق الثقافي في تشكيل البنية السردية للملحمة.

تمثل ملحمة جلجامش نتاجًا ثقافيًا عميقًا يعكس رؤية الإنسان الرافدي للعالم، حيث تتداخل في بنيتها السردية عناصر دينية وفكرية واجتماعية شكّلت مجتمعة الإطار الذي انبثقت منه أحداثها وشخصياتها. فالنص الملحمي لا يمكن فصله عن السياق الثقافي الذي نشأ فيه، إذ إن هذا السياق هو الذي يحدد طبيعة القضايا المطروحة، ويمنحها دلالاتها الخاصة، ويُوجّه مسار السرد وفق تصورات معينة عن الحياة والموت، والقدر، والسلطة، والإنسان.

أولًا- مفهوم القدر والصراع :

يُعدّ مفهوم القدر في ملحمة جلجامش من أبرز العناصر التي تكشف عن طبيعة

الوعي الثقافي في حضارة وادي الرافدين، حيث يظهر الإنسان بوصفه كائنًا محدودًا، محكومًا بقوانين كونية لا يستطيع تجاوزها، مهما بلغ من القوة أو المجد. ويتجلى هذا المفهوم بوضوح في إدراك جلجامش لحقيقة مصيره، إذ يعي أنه، رغم طبيعته شبه الإلهية، لن يفلت من الموت الذي كُتب على البشر جميعا. فقد دفعه هذا الإدراك إلى السعي نحو تحقيق نوع من الخلود الرمزي، من خلال القيام بأعمال بطولية تُخلّد اسمه، كما يتضح في قراره التوجه إلى "أرض الحياة" وقطع أشجار الأرز، وهو ما يعكس محاولة الإنسان القديم مواجهة الفناء عبر الفعل البطولي. وقد ورد في النص أن جلجامش، بعد أن أدرك حتمية الموت، "عزم على إتيان بعض الأعمال التي تخلد اسمه قبل أن يحل به الأجل المحتوم"[18]، وهو ما يعبّر عن وعي مأساوي يدرك النهاية، لكنه يسعى إلى تجاوزها بالإنجاز. غير أن هذا المسعى لا يتم بمعزل عن القوى الإلهية، إذ ينصحه أنكيدو بأن يلتمس العون من الإله "أوتو" (شمش)، بوصفه الحاكم على غابات الأرز، وهو ما يدل على أن تحقيق الأهداف—even البطولية منها—يظل مرهونًا بإرادة الآلهة. وبالفعل، يستجيب شمش ويقدم العون لجلجامش، مما يعكس تداخل الإرادة الإنسانية مع الدعم الإلهي في مواجهة التحديات. لكن هذا التوازن لا يلغي الصراع، بل يعمّقه، خاصة حين تتجلى الحقيقة القاسية التي يواجهها جلجامش لاحقًا، حيث يخاطبه الإله شمش قائلاً:

"إلى أين تمضي يا جلجاميش؟
إن الحياة التي تبحث عنها لن تجدها!"[19]

هذا الخطاب يُعد لحظة مفصلية في السرد، إذ يعبّر عن الحقيقة المطلقة التي تحكم العالم: استحالة الخلود البشري. وهنا يتجلى الصراع في أعمق صوره، ليس بوصفه صراعًا خارجيًا مع قوى الطبيعة أو الأعداء، بل بوصفه صراعًا داخليًا بين رغبة الإنسان في البقاء، وحقيقة فنائه.

ويأتي رد جلجامش ليكشف عن هذا التوتر الوجودي، حيث يقول:

"أَبَعْدَ السير والجري في البراري
تتبقى (لي) الراحة على الأرض؟
وقتلت خمبابا الذي يسكن غابة الأرز
كما قتلت الأسود في مسالك الجبال."[20]

يعكس هذا المقطع حالة من التحدي الممزوج باليأس، حيث يستند جلجامش إلى إنجازاته البطولية ليبرر سعيه نحو الخلود، وكأنه يرى أن هذه الأعمال تمنحه استحقاقًا

يتجاوز حدود الإنسان العادي. غير أن هذا الاعتقاد يصطدم بحقيقة القدر، التي لا تميّز بين بطل وغيره.

ثانيًا : صورة الملك والسلطة:

تتجلى صورة الملك والسلطة في ملحمة جلجامش بوصفها انعكاسًا مباشرًا للسياق الثقافي والحضاري في بلاد الرافدين، حيث ارتبطت السلطة بمفهوم القوة والبطولة من جهة، وبالشرعية الإلهية من جهة أخرى. فالملك في هذا الإطار ليس مجرد حاكم سياسي، بل هو شخصية استثنائية تجمع بين الهيبة الدنيوية والبعد المقدس، مما يجعله محور النظام الاجتماعي والكوني في آنٍ واحد. ويظهر جلجامش في الملحمة بوصفه نموذجًا لهذه السلطة المركبة، حيث يقدّم نفسه قائلاً:

"أنا جلجامش ملك أوروك،
من فتح غابة الأرز وصرع خمبابا،
من أمسك بثور السماء وقتله،
وعبر المهالك في الطريق،
إلى أقاصي الأرض هذه."[21]

يكشف هذا الخطاب عن وعي الملك بذاته بوصفه بطلًا فاتحًا، تُقاس قيمته بما يحققه من إنجازات استثنائية تتجاوز حدود المألوف. فالسلطة هنا لا تقوم فقط على الحكم والإدارة، بل تُبنى على القدرة على التحدي والانتصار، سواء في مواجهة قوى الطبيعة أو الكائنات الخارقة. ومن ثمّ، فإن البطولة تُعدّ أحد أهم مصادر شرعية الملك، حيث يصبح الحاكم جديرًا بالسلطة بقدر ما يبرهن على تفوقه.

ثالثًا- انعكاس الوعي الجمعي في بناء الشخصيات :

تكشف ملحمة جلجامش عن حضور واضح للوعي الجمعي في تشكيل شخصياتها، حيث لا تظهر هذه الشخصيات بوصفها كيانات فردية مستقلة فحسب، بل بوصفها تمثيلات رمزية لقيم المجتمع الرافدي وتصوراته عن العالم. ويبرز هذا المعطى بوضوح في شخصية جلجامش، الذي يُجسّد طموح الإنسان القديم في تجاوز حدوده، والسعي إلى المجد والخلود، حتى وإن تطلّب ذلك خوض مغامرات محفوفة بالمخاطر. فقراره السفر إلى غابة الأرز، أو "أرض الأحياء"، لم يكن مجرد نزوة فردية، بل يعكس نزعة جماعية تقدّس البطولة وتربطها بخلود الذكر. فالمجتمع الذي أنتج هذا النص يرى في اقتحام المجهول ومواجهة القوى المخيفة سبيلًا لتحقيق المجد، وهو ما يفسر إصرار جلجامش على المضي في رحلته رغم تحذيرات إنكيدو.[22] كما يظهر انعكاس الوعي الجمعي في الطريقة التي تُبنى بها الأحداث ذاتها، خاصة في

مشهد المواجهة مع خمبابا، حيث لا يتحقق الانتصار بالقوة البشرية وحدها، بل من خلال تدخل الإله شمش، الذي يعطل قوى الطبيعة (الرياح والشياطين) لصالح البطلين. وهذا التصوير يعكس تصورًا جماعيًا يرى أن النجاح لا يتحقق إلا بتوافق الإرادة الإنسانية مع الإرادة الإلهية، وهو ما يضفي على الحدث طابعًا دينيًا يتجاوز كونه مجرد صراع بين طرفين.[23]

وتتعمق دلالة الوعي الجمعي في لحظة اتخاذ القرار بقتل خمبابا، رغم استسلامه وطلبه العفو، حيث يميل جلجامش إلى الرحمة، لكن إنكيدو يحذره من عواقب هذا القرار، فيستجيب له ويُقدم على قتله. وتعكس هذه اللحظة صراعًا بين قيمتين: الرحمة من جهة، وضرورات البقاء والسيطرة من جهة أخرى، وهي قيم متجذرة في وعي المجتمع الذي يرى في الحسم والقوة وسيلة لحماية النظام واستقراره.

المبحث الرابع ـ أبرز القضايا التي تناولتها الملحمة.

تُعدّ ملحمة جلجامش نصًا ثريًا بالقضايا الإنسانية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، إذ لا تقتصر على تصوير أحداث أسطورية، بل تطرح إشكالات فكرية ووجودية ما زالت تشغل الإنسان حتى اليوم. تتجلى أولى هذه القضايا في مفهوم البطولة، حيث تظهر في شخصيتي جلجامش وأنكيدو بوصفهما نموذجين للبطولة الملحمية الخارقة. فجلجامش، بتركيبته التي تجمع بين الإلهي والبشري، يمثل القوة المتجاوزة للحدود الإنسانية، غير أن هذه البطولة لا تأتي في صورة مثالية خالصة، بل ترتبط في بدايتها بالاستبداد والجبروت، وهو ما يكشف رؤية نقدية مبكرة لمفهوم السلطة والقوة. ومن وجهة نظر الباحث، فإن الملحمة تعيد تعريف البطولة، بحيث لا تقتصر على القوة الجسدية، بل تمتد لتشمل الوعي والمعرفة، وهو ما يتحقق في نهاية الرحلة.[24] وترتبط البطولة ارتباطًا وثيقًا بقضية الصداقة، التي تمثل أحد أعمق الأبعاد الإنسانية في النص، حيث تتحول العلاقة بين جلجامش وأنكيدو من صراع إلى ارتباط وجداني عميق يقوم على الإخلاص والتضحية. وهذه العلاقة لا تُفهم بوصفها مجرد عنصر سردي، بل تعكس حاجة الإنسان إلى الآخر بوصفه مرآة لذاته ومصدرًا لتكامله. ويرى الباحث أن هذه الصداقة تمثل نقطة التحول الحقيقية في شخصية جلجامش، إذ بفضلها ينتقل من حالة التسلط إلى حالة التوازن. كما تحضر المغامرة ومواجهة الصعاب بوصفها دافعًا أساسيًا للحركة السردية، حيث يسعى جلجامش إلى اقتحام المجهول، مدفوعًا برغبة في تحقيق المجد وتخليد اسمه. غير أن هذه المغامرات لا تُقدَّم بوصفها انتصارات خالصة، بل تكشف عن هشاشة الإنسان أمام المجهول، وهو ما

يظهر في لحظات الخوف والتردد التي تعتري البطل. ومن هنا، فإن المغامرة في الملحمة ليست مجرد فعل بطولي، بل تجربة وجودية يختبر فيها الإنسان حدوده.[25] وفي سياق آخر، تبرز قضية الحيلة واستغلال الإغراء من خلال مشهد إدخال أنكيدو إلى عالم الحضارة، حيث تُستخدم البغي كوسيلة لترويضه ونقله من البرية إلى المدينة. ويكشف هذا الحدث عن وعي ثقافي يرى في الإغراء أداة للسيطرة والتحول، كما يعكس تصورًا اجتماعيًا لدور المرأة في هذا السياق. ويُلاحظ هنا أن الملحمة لا تدين هذا الفعل، بل تقدمه بوصفه جزءًا من نظام ثقافي يهدف إلى إدماج الفرد في المجتمع. أما الانتقام، فيظهر بوصفه سلوكًا يرتبط بالآلهة أكثر من البشر، كما يتجلى في انتقام عشتار من جلجامش بعد رفضه لها. ويعكس هذا البعد تصورًا دينيًا يرى أن القوى الإلهية ليست دائمًا عادلة، بل قد تتحرك بدوافع شخصية، وهو ما يضفي على السرد طابعًا دراميًا، ويعمّق الصراع بين الإنسان والآلهة.[26] كما تحضر فكرة عقاب الآلهة للبشر، خاصة في قصة الطوفان، التي تعكس تصورًا كونيًا يرى أن الكوارث الطبيعية ليست عشوائية، بل نتيجة لغضب إلهي.[27] وتتجلى بشكل واضح قضية الرغبة في الخلود، التي تُعدّ المحرك الأساسي لرحلة جلجامش بعد موت أنكيدو، حيث يسعى إلى اكتشاف سر الحياة الأبدية. غير أن هذه الرغبة تصطدم بحقيقة الفناء، مما يكشف عن صراع داخلي عميق بين الطموح والواقع. ويرى الباحث أن هذه القضية تمثل جوهر التجربة الإنسانية في الملحمة، حيث يعبر الإنسان عن رفضه للموت، رغم إدراكه حتميته. وأخيرًا، تطرح الملحمة صورة قاتمة عن أهوال العالم السفلي، حيث يُصوَّر مصير الإنسان بعد الموت بوصفه وجودًا مظلمًا خاليًا من الحيوية. وهذا التصور يعمّق الإحساس بالقلق الوجودي، ويجعل من الحياة الأرضية المجال الوحيد الممكن لتحقيق المعنى.[28] وبذلك، يتضح أن ملحمة جلجامش ليست مجرد نص أدبي، بل هي بناء فكري متكامل يطرح قضايا إنسانية كبرى، تتعلق بالحياة والموت، والصداقة، والسلطة، والقدر.

ثانيًا ـ الآراء النقدية التي قيلت حول الملحمة :

حظيت ملحمة جلجامش باهتمام واسع من قبل النقاد والباحثين، نظرًا لما تنطوي عليه من عمق فكري وإنساني، جعلها تتجاوز كونها نصًا أدبيًا قديمًا لتصبح إحدى الركائز الأساسية في فهم نشأة الأدب العالمي وتطوره. وقد تنوعت الآراء النقدية حولها، فبعضها ركّز على بعدها الحضاري، وبعضها أبرز طابعها الإنساني، في حين ذهب آخرون إلى تأكيد بعدها المأساوي والفلسفة. فقد رأى فراس السواح أن الملحمة تمثل درسًا إنسانيًا خالدًا، حيث يقول: "لقد علمنا جلجامش أن معنى الحياة قائم في المعرفة والحكمة التي نكتسبها، وتسلمها لمن يرث الأرض بعدنا، وفي الفعل الحضاري

الخلاق. وها هي حياة الملحمة من بعده، تثبت أنه كان على حق..."[29]. ويكشف هذا الرأي عن قراءة ترى في الملحمة نصًا يؤسس لفكرة الخلود المعنوي، لا بوصفه بقاءً جسديًا، بل استمرارًا في الأثر والمعرفة. ومن وجهة نظر الباحث، فإن هذا الطرح يُعدّ من أكثر التفسيرات انسجامًا مع البنية العميقة للنص، حيث تنتهي رحلة جلجامش بإدراك قيمة الإنجاز الحضاري بوصفه البديل الحقيقي عن الخلود. أما طه باقر، فقد ركّز على القيمة الحضارية والتوثيقية للملحمة، حيث يرى أنها "منجم زاخر يستقي منه فهم أوجه ومقومات أساسية لأحوال العراق القديم..." [30]. ويبرز هذا الرأي أهمية الملحمة بوصفها وثيقة تاريخية تعكس مختلف جوانب الحياة في بلاد الرافدين، من معتقدات دينية، إلى نظم اجتماعية، إلى مظاهر الحياة اليومية. غير أن الباحث يرى أن هذا المنظور، على أهميته، يظل جزئيًا إذا اقتصر على البعد التوثيقي، إذ إن الملحمة لا تكتفي بعكس الواقع، بل تعيد تشكيله فنيًا، وتضفي عليه أبعادًا رمزية وفلسفية تتجاوز حدود الزمان والمكان. وفي سياق آخر، يقدم عبد الغفار مكاوي قراءة تبرز الطابع المأساوي للملحمة، حيث يرى أن جلجامش هو "أول بطل مأساوي في تاريخ الأدب العالمي"[31]، وأن فشله في تحقيق الخلود هو سر إنسانيته. ويُعدّ هذا الطرح من أهم القراءات النقدية، لأنه ينقل التركيز من البطولة التقليدية إلى البعد الإنساني القائم على الضعف والتردد. كما يشير فرانكفورت إلى أن الملحمة "بنيت على أقاصيص أقدم منها... وجُمعت حول موضوع جديد، هو موضوع الموت"[32]، وهو ما يؤكد وحدة الموضوع المركزي الذي تدور حوله الأحداث.

ومن خلال هذه الآراء، يتضح أن ملحمة جلجامش قد قُرئت من زوايا متعددة: بوصفها نصًا حضاريًا، ونصًا إنسانيًا، ونصًا مأساويًا. غير أن هذه القراءات، على تنوعها، تلتقي عند نقطة أساسية، وهي أن الملحمة تعبّر عن تجربة إنسانية عميقة تتعلق بمصير الإنسان ومعنى وجوده. أما من حيث الرأي الشخصي والنقدي، فيرى الباحث أن ملحمة جلجامش تمثل نصًا تأسيسيًا في الأدب الإنساني، ليس فقط لقدمها التاريخي، بل لقدرتها على طرح أسئلة وجودية ما زالت حاضرة في الفكر المعاصر. فالبطل في هذه الملحمة لا يُقاس بقدرته على الانتصار، بل بقدرته على الوعي، وهو ما يجعل من فشله في تحقيق الخلود انتصارًا معرفيًا، لا هزيمة.

الخاتمة:

في ضوء ما تم تناوله في هذا البحث من تحليلٍ للتشكّل التاريخي والثقافي لملحمة جلجامش وأثره في بنائها السردي، ومن استقراءٍ لأبعادها الفنية والفكرية والإنسانية،

يمكن استخلاص مجموعة من النتائج والتوصيات التي تكشف عن عمق هذا النص وثرائه، وتؤكد مكانته في الأدب العالمي.

أولًا ـ خلاصة البحث :

أسفر هذا البحث عن جملة من النتائج العلمية، من أهمها:

1. كشفت الدراسة أن ملحمة جلجامش نتاجٌ مباشر للسياق الحضاري الرافدي، حيث لم تكن البنية السردية منفصلة عن الواقع التاريخي، بل تشكّلت في ضوء البيئة الاجتماعية والسياسية لمدينة أوروك، التي مثّلت نموذجًا مبكرًا للدولة المركزية المرتبطة بالسلطة الدينية.
2. تبيّن أن المعتقدات الدينية كانت عنصرًا بنيويًا في تشكيل الحدث السردي، إذ أسهم تدخل الآلهة في توجيه مسار الأحداث، وصياغة مصائر الشخصيات، مما أضفى على السرد طابعًا قدريًا يعكس رؤية الإنسان القديم للوجود.
3. أظهرت الدراسة أن الأسطورة في الملحمة لم تكن مجرد خيال، بل كانت إطارًا تفسيريًا للواقع، من خلاله سعى الإنسان الرافدي إلى فهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وإضفاء معنى على وجوده.
4. كشفت الدراسة أن الصداقة بين جلجامش وأنكيدو شكّلت محورًا إنسانيًا أساسيًا في الملحمة، وأسهمت في تطور وعي البطل، وانتقاله من مرحلة الطغيان إلى مرحلة الإدراك والتأمل.
5. أظهرت النتائج أن مفهوم القدر كان قوة مهيمنة في السرد، حيث بدا الإنسان خاضعًا لإرادة عليا، ومع ذلك يسعى لمقاومتها، وهو ما ولّد توترًا دراميًا عميقًا داخل النص.
6. أظهرت الدراسة أن ملحمة جلجامش كان لها أثر واضح في الأدب العالمي، سواء من حيث البناء السردي القائم على الرحلة، أو من حيث طرح القضايا الوجودية، مما جعلها نموذجًا أوليًا للأدب الملحمي.

ثانيًا – التوصيات :

1. ضرورة توسيع الدراسات التي تربط بين الأدب والسياق الحضاري، لما لذلك من دور في فهم أعمق للنصوص الأدبية القديمة وتحليل بنيتها السردية.
2. الدعوة إلى إعادة قراءة ملحمة جلجامش في ضوء المناهج النقدية الحديثة، مثل النقد الثقافي والتحليل النفسي، للكشف عن أبعاد جديدة في النص.
3. الاهتمام بتدريس الملحمة ضمن مقررات الأدب العالمي، لما تحمله من قيمة إنسانية وفكرية تسهم في تنمية الوعي الأدبي لدى الطلاب.

4. إجراء دراسات مقارنة بين ملحمة جلجامش والملاحم العالمية الأخرى، مثل الملاحم اليونانية، للكشف عن أوجه التأثير والتأثر بين الحضارات.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامـــــــــــش:

(1) حنون، نائل، ملحمة جلجامش: ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكادي، دمشق: دار الخريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006م، ص 33–67.

(2) باقر، طه، ملحمة جلجامش، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة الثقافة العامة، الطبعة الثانية، 1971م، ص 13.

(3) السواح، فراس، جلجامش: ملحمة الرافدين الخالدة، دراسة شاملة مع النصوص الكاملة وإعداد درامي، القاهرة: مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، 2016م، ص 19.

(4) السواح، فراس، جلجامش: ملحمة الرافدين الخالدة، ص 19.

(5) المرجع نفسه، ص 20.

(6) السواح، فراس، جلجامش: ملحمة الرافدين الخالدة، ص 20.

(7) باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد: دار الحرية للطباعة، الطبعة الأولى، 1976م، ص 102.

(8) مكاوي، عبد الغفار، ملحمة جلجامش. مراجعة عوني عبد الرؤوف، القاهرة: مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، 2019م، ص 50.

(9) ينظر: عبد العزيز، كارم محمود، أساطير العالم القديم، القاهرة: مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، 2007م، ص 66.

(10) مكاوي، عبد الغفار، ملحمة جلجامش، مراجعة عوني عبد الرؤوف، ص 166.

(11) السواح، فراس، جلجامش: ملحمة الرافدين الخالدة، ص 52.

(12) المرجع نفسه، ص 184.

(13) ينظر: أبو زيد، أحمد، الواقع والأسطورة في القص الشعبي، عالم الفكر، مجلد 17، عدد 1 (1986)، ص 5.

(14) المرجع نفسه، ص 5.

(15) ادزارد، د.؛ بوب، م.ه.؛ رولينغ، ف، قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة. بيروت: دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، 1992م، ص 158.

(16) باقر، طه، ملحمة جلجامش، ص 69.

(17) ينظر: ادزارد، د.؛ بوب، م.ه.؛ رولينغ، ف، قاموس الآلهة والأساطير، ص 145-147.

(18) باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 128.

(19) مكاوي، عبد الغفار، ملحمة جلجامش، ص 132.
(20) المرجع نفسه، ص 132-133.
(21) السواح، فراس، جلجامش: ملحمة الرافدين الخالدة، ص 314.
(22) ينظر: قاسم محمود، محمد حسين، الرمزية الدينية ودلالاتها في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء السومرية وما يضاهيها في النسخة البابلية: دراسة تحليلية، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الخامس والثلاثون، الإصدار الثاني (أكتوبر 2022م)، ص 3804.
(23) ينظر: قاسم محمود، محمد حسين، الرمزية الدينية ودلالاتها في ملحمة جلجامش وأرض الأحياء السومرية وما يضاهيها في النسخة البابلية: دراسة تحليلية، ص 3805.
(24) ينظر: طاهر، حامد، ملحمة جلجامش: دراسة تحليلية، فكر وإبداع، العدد 99 (2016)، ص 25.
(25) المرجع نفسه، ص 27.
(26) ينظر: طاهر، حامد، ملحمة جلجامش: دراسة تحليلية، ص 28.
(27) المرجع نفسه، ص 30.
(28) المرجع نفسه، ص 31.
(29) السواح، فراس، كنوز الأعماق: قراءة في ملحمة جلجامش، نيقوسيا – قبرص: سومر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1987م، ص 285.
(30) باقر، طه، ملحمة جلجامش، ص 13.
(31) مكاوي، عبد الغفار، ملحمة جلجامش، ص 27.
(32) فرانكفورت، هـ.؛ فرانكفورت، هـ. ا.؛ ولسن، جون ا.؛ جاكبسون، توركيلد، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا. بغداد: منشورات مكتبة الحياة، 1960م، د.ط، ص 246.